



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

الكتاب المدرسي في تاريخ الأمة العربية



المجلد الأول

٢٠١٧-٢٠١٨



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

التكائب المزدوج في تاريخ الأمة العربية

المجلد الأول

الحج ذور والبدايات

الفصل الرابع

المظاهر الحضارية للعرب قبل الإسلام

- أيام العرب وأسواقهم وأديانهم .
- الكتابة .
- اللغة والأدب .
- المسكوكات .

يُعد اكتشاف الكتابة نقطة تحول مهمة في تاريخ الحضارة البشرية، فهي من أهم الإنجازات التي حققها الإنسان خلال تاريخه الطويل، حيث ساعدت على اتصال الناس ببعضهم بالرغم من البعد المكاني والزمني الذي يفصل بينهم. وقد قال الشاعر:

الخط يبقى زماناً بعد كاتبه

وكاتب الخط تحت الأرض مدفون

فمنذ ما يربو على خمسة آلاف سنة مضت تشكلت في منطقة الشرق الأدنى (العراق، مصر، بلاد الشام، والجزيرة العربية) نتائج تجارب طويلة من محاولات الإنسان الأولى للكتابة.

وظهرت البدايات الأولى للكتابة في بلاد ما بين النهرين أو العراق القديم في الفترة ما بين 3500 – 3000 قبل الميلاد، أعقب ذلك بقليل ظهور إشارات واضحة للتدوين في مصر، ثم لم تلبث أن تطورت أساليب الكتابة فيما بعد في مناطق بلاد الشام والجزيرة العربية، وتشكلت قواعدها التي أصبحت أساساً لمعظم خطوط اللغات العالمية المعروفة في وقتنا الحاضر. وعلى ضوء الاكتشافات الأثرية في مواقع مواطن الحضارة في منطقة الشرق الأوسط تبين أن الكتابة مرت بمرحلتين أساسيتين هما: مرحلة ما قبل الأبجدية، ومرحلة الأبجدية. ففي مرحلة ما قبل الأبجدية ظهرت في بلاد ما بين النهرين الكتابة المسمارية، وفي بلاد وادي النيل ظهرت الكتابة المصرية القديمة أو الهيروغليفية.

وعند الحديث عن الأبجدية يجب التفريق بين نوعين رئيسيين منها: الأبجدية الأوجاريئية والأبجدية السينائية.

فالكتابة الأوجاريئية تحتل موقعاً فريداً بين الكتابات السامية. فقد اشتقت حروفها الأبجدية الثلاثين من الكتابة

المسمارية. ويأتي ترتيب حروف هذه الأبجدية حسب النظام المعروف في الأبجدية الفينيقية الكلاسيكية (أبجدية بيبيلوس أو جبيل) إنما بصورة حروف مسمارية. وترجع أهمية الكتابة الأوجاريئية إلى أنها تمثل مرحلة انتقال من الكتابة المقطعية إلى الكتابة الأبجدية في إطار الخط المسماري. وهي على الأرجح من وضع إنسان أوجاريت، الذي احتذى حذو الكتابة المصرية أو السينائية أو السامية الشمالية الأم في كونها الفبائية، ولكنه عبّر عن الفكرة الألفبائية بأشكال مسمارية.

أما الأبجدية السينائية فقد اشتقت حروفها في الأصل من الخط الهيروغليفي، حيث عثرت بعثة فلندرز بتري W. M. Flinders Petrie في عام 1904-1905م وعندما كانت تقوم بالتنقيب في خرائب معبد حتحور في سراييط الخادم في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة سيناء، على أحد عشر نقشاً مكتوبة برموز يشبه بعضها الرموز الهيروغليفية، وبعضها الآخر شبيه برموز الألفباء السامية؛ لا يتجاوز عدد هذه الرموز الثلاثين رمزاً مختلفاً. ورأى الباحثون أن هذه الكتابة تعود إلى حوالي القرن السادس عشر أو الخامس عشر ق.م.

ومن دراسة نقوش سراييط الخادم تمكن العلماء من معرفة الأبجدية السينائية، التي هي كتابة للغة سامية تسمى اصطلاحاً بالكنعانية، كان يتحدث بها العمال الكنعانيون الذين عملوا في مناجم الفيروز في سراييط الخادم في سيناء نحو القرن السادس عشر قبل الميلاد، والراجح أن هؤلاء الكنعانيين رغبوا في كتابة لغتهم أسوة بالمصريين هناك، فاختاروا رموزاً مصرية مما هو مستخدم في النقوش الهيروغليفية هناك، واستخرجوا منها حروفاً أبجدية بالطريقة الأكروفونية (صوت الحرف الأبجدي يكون هو

في أنه يكتب من اليمين إلى

اليسار، كما أن حروف المد (أو حروف اللين) تطرح من رسم كتابته، بيد أنها تظهر فيما بعد في النقوش البونية المتأخرة وعلى وجه الخصوص البونية الحديثة، وفي العادة يُفصل بين المفردات في النصوص الفينيقية المبكرة بخط عمودي أو نقطتين مترادفتين. وقد تفرع من الخط الفينيقي عدة خطوط هي: البوني، المؤابي، العبري، العموني، اليوناني، والآرامي.

الخط المؤابي:

سمي هذا الخط بالخط المؤابي نسبة إلى القبائل المؤابية (القبائل المتحدرة من مؤاب بن لوط بموجب كتاب العهد القديم) التي سكنت المنطقة الواقعة شرق البحر الميت ما بين وادي الحسا ووادي الموجب في الأردن، واستطاعت منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد تأسيس مملكة قوية كانت في صراع مع مملكة إسرائيل المجاورة لها.

والخط المؤابي أصله مشتق من الخط (العبري) الفينيقي، وذلك في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، فالمعالم الأولى المميزة للكتابة العبرية يمكن تبينها في نقش مسلة ميشع ملك مؤاب، ونقش شظوي يذكر والد ميشع كيموش يات.

فنقش ميشع المحفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس، عبارة عن نصب عثر عليه في عام 1868م في ديبان بأرض مؤاب القديمة، يتحدث عن حروب الملك ميشع مع ملك إسرائيل المدعو عمري، ويُعدد مآثر ميشع على مملكته. يتألف الخط المؤابي من اثنين وعشرين حرفاً، ويكتب من اليمين إلى اليسار، ولا تظهر كتابة الحروف المتحركة (الألف، والواو، والياء) في رسمه.

الخط العبري:

يعتقد أن أقدم شواهد الخط العبري ترجع إلى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، ويتبين من ملامحه الخطية أن

أعطوا ما يمثله الرمز المصري نطقاً كنعانياً جعلوا صوته الأول حرفاً أبجدياً رمزوا له بذلك الرمز

يندر أن يجد المرء منطقة من المناطق في الوطن العربي الكبير، لم يدون الأجداد الأوائل على صخور جبالها، جدران عمارتها ومعابدها، كتابات ونقوشاً عبروا من خلالها عن صفحات مضيئة من تاريخهم. فالخط الذي ظهرت بواكيره منذ ما يزيد على ثمانية عشر قرناً مضت، والذي دون به القرآن الكريم هو أحد الخطوط التي كتب بها العرب لغتهم وتراثهم اللغوي الهائل. وقد اشتقت هذه الخطوط كلها ذات الصلة الوثيقة ببعضها البعض – على الرغم من التنوع والاختلاف في رسم أشكال حروفها نتيجة تطور كل خط على حدة ضمن إطاره الجغرافي – من أصل واحد هو الأبجدية السينائية وما جاورها من أبجديات هجائية أخرى كالأبجدية الأوجاريتية في بلاد الشام. ومن أهم هذه الخطوط القلم الفينيقي وفروعه.

الخط الفينيقي:

ينحدر الخط الفينيقي من خط أقدم منه عُرف باسم البروتوكنعاني Proto-canaanite، ثم أخذ شكلاً راسخاً في حوالي منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد. تعود أقدم الشواهد المكتوبة بالخط الفينيقي إلى القرن العاشر قبل الميلاد، فالنقش المنون على تابوت أحيرام، والذي يرجع إلى حوالي 1000 قبل الميلاد، إضافة إلى نقوش يحي ملك، أبي بعل، إيلي بعل، وشفطي بعل – جميعها من بيبيلوس – المؤرخة بالقرن العاشر تعد خير أمثلة للخط الفينيقي المبكر.

انتشر الخط الفينيقي في المستوطنات الفينيقية في لبنان وأجزاء من سوريا وفلسطين. كما عثر على النقوش الفينيقية في أور بوادي الرافدين، ومصر، وبلاد شمال إفريقيا، وفي جزر البحر الأبيض المتوسط (قبرص، كريت، مالطا، صقلية، وسردينيا).

العبرانيين استقوا خطهم من جيرانهم الفينيقيين سكان بلاد الشام وفلسطين، بعد أن غيروا في رسم بعض أشكال حروفه. ويُعد خط النقش المعروف باسم تقويم جيزر أقدم نقش عبري معروف حتى وقتنا الحاضر، وهو يشبه خط النقوش الفينيقية من بيبيلوس (جبيل) في القرن العاشر قبل الميلاد

تلتها نقوش عبرية أخرى طوال الألف الأول قبل الميلاد منها نقش قبوري من القدس (القرن الثامن – السابع ق. م)، وكسر آنية فخارية Ostraca من سميريا (القرن الثامن ق. م)، وأراد (القرن السابع – السادس ق. م)، ولاخش (القرن السادس ق. م)، كذلك يوجد أختام صلصالية ومعينية من لاختش وأراد والقدس، إضافة إلى كتابات عبرية على البردي

وقد كتبت أغلب المصادر العبرية المتوافرة لدينا على الأحجار، وكسر الأواني الفخارية، أما الكتابة على المواد اللينة فمعلوماتنا عنها قليلة جدًا. ومن أبرز الأمثلة على النقوش العبرية الحجرية نقش قناة السلوان الذي يوجد على الحائط الأيمن من القناة التي تربط النبع (نبع جيحون قديمًا) ببركة السلوان بالقرب من مدينة القدس؛ والنقش الجنازي للموظف الملكي شبن يهوه عند مدخل قرية السلوان. وكلا النقشين يعودان إلى القرن السابع قبل الميلاد.

يعرف الخط القديم عند اليهود باسم القلم العبري، واستعملوه إلى فترة السبي البابلي، ثم استبدلوه بقلم آخر متطور عن الخط الآرامي عُرف بالخط المربع أو الخط الآشوري. ظل استعمال الخط العبري القديم حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، حيث استمر استخدامه في الأعمال الدينية؛ أما القلم المربع أو الآشوري فقد كان استعماله مقصوراً على الشؤون الدينية.

يتكون الخط العبري من اثنين وعشرين حرفاً ساكناً، ويكتب من اليمين إلى اليسار، ولا تتصل حروفه بعضها ببعض بأية رابطة. وخمسة منها يتغير شكلها إذا وقعت في آخر الكلمة ويجمعها قولك "صنفكم". ولا يجوز تقسيم الكلمة

في العبرية بأن يكتب جزء منها في آخر السطر والجزء الباقي في أول السطر التالي. وقد أدخل اليهود في حوالي القرن السادس الميلادي استخدام حروف العلة (أ، هـ، و، ي) كعلامات للحركات تساعدهم على ضبط النطق وحفظ الكلمات من التحريف

الخط العموني:

استوطنت القبائل العمونية المنطقة الواقعة شمال الأردن منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، حيث استطاعت في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد أن تؤسس مملكة قوية ذات كيان سياسي وديني واجتماعي مستقل، اتخذت من مدينة عَمّون أو ربّة عَمّون (عمّان حالياً) الواقعة على وادي الزرقا شرقي نهر الأردن عاصمة لها.

دونت هذه القبائل العمونية تراثها اللغوي بخط يتألف من اثنين وعشرين حرفاً ساكناً، جميعها متفرعة من الخط الآرامي الفينيقي ومتطورة عنه. ولا زالت مدونة النقوش العمونية فقيرة في مادتها، بيد أنها نمت إلى حد بعيد في الثلاثين سنة الأخيرة وعلى وجه الخصوص في العقد الأخير.

تؤرخ هذه النقوش العمونية بالفترة من القرن التاسع إلى القرن الخامس قبل الميلاد، ومن أبرز هذه النقوش نص دُون على قارورة من البرونز عُثر عليه في تل سيران، يصف أعمال عمي ندب ملك العمونيين. ويرجع تاريخ النص إلى حوالي 667 قبل الميلاد

الخط الآرامي:

يسمى هذا الخط باسم الخط الآرامي نسبة إلى القبائل الآرامية التي نزحت في حوالي أواسط الألف الثاني قبل الميلاد من جزيرة العرب، واستطاعت في مطلع الألف الأول قبل الميلاد أن تؤسس في بلاد الشام عدة ممالك محلية صغيرة

في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد كتب الآراميون لغتهم الآرامية بخط مشتق من الخط الفينيقي، انتشر في

العالم القديم إلى حد بعيد كانتشار النار في الهشيم، حيث أن سهولة الكتابة به وبساطته وسرعة تعلمه جعلته في حوالي القرن السادس قبل الميلاد يصبح خطأ عالميًا يكتب به القاصي والداني في منطقة تمتد من آسيا الصغرى إلى بلاد الرافدين وإيران وأفغانستان والهند ومصر وشمال الجزيرة العربية. يتألف الخط الآرامي من اثنين وعشرين حرفًا، تكتب من اليمين إلى اليسار. وقد استخدم الآراميون فيه طريقة الساكن الصوتي (matres Lectiones) للتعبير عن الحروف الصوتية وخاصة الطويلة منها، وذلك بحروف ساكنة تُقرأ على نحو ما تُقرأ به الحروف الصوتية. وفي حوالي القرن الثامن والسابع قبل الميلاد بدأ الآراميون في تبسيط أشكال الحروف واستخدام المسافة بين الكلمات.

وتسمى مجموعة النقوش القديمة المدونة بالآرامية باسم الآرامية القديمة، عثر عليها في مناطق مختلفة من بلاد الشام والعراق. وتنقسم إلى نوعين:

1- النقوش التي ترجع إلى الفترة ما بين القرن العاشر والقرن السادس قبل الميلاد وتعرف لغتها باسم آرامية النقوش، ويمثلها نقوش ملوك سمال (زنجيرلي) كنقش كلمو (حوالي 900 - 850 ق. م)، نقش بنمو الأول (حوالي 800 - 750 ق. م)، ونقش بنمو الثاني وابنه بر ركب (حوالي 745 - 727 ق. م)، يضاف إلى ذلك نقش برهدد ملك دمشق (حوالي منتصف القرن الثامن ق. م)، ونقش زكور ملك حماه (حوالي القرن الثامن ق. م)، ومن النقوش القديمة أيضًا رسالة أدون ملك فينيقيا المدونة على ورق البردي إلى فرعون مصر والتي عثر عليها في سقارة (حوالي القرن السادس ق. م)، والمسلتين الجنائزيتين اللتين عثر عليهما في نيرب بالقرب من حلب (حوالي القرن السابع ق. م).

1- الخط الحضري:

2- النصوص الآرامية التي يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين القرن السادس ق. م وحتى سقوط الإمبراطورية الفارسية (330 ق. م). عرفت لغة هذه النصوص بآرامية الدولة، فقد جعلت الإمبراطورية الأخمينية الفارسية من اللغة الآرامية لغة للإدارة والدبلوماسية يُكتب بها في الدواوين الوثائق الرسمية والعقود والرسائل، ولذلك عرفت بالآرامية الإمبراطورية أو آرامية الدولة بسبب استخدامها من قبل الإمبراطوريتين الآشورية والأخمينية، وبالآرامية الدولية لانتشارها الواسع ووجودها في أغلب المراكز الحضارية في منطقة الشرق الأدنى القديم. ويعد من آرامية الدولة الرسائل والوثائق المدونة على أوراق البردي من جزيرة الفيلة بأسوان والتي تعود إلى الفترة ما بين 495 - 400 قبل الميلاد، إضافة إلى ذلك الأجزاء المكتوبة بالآرامية من كتاب العهد القديم، وكذلك ما يعرف اليوم بالترجوم أو ترجمة العهد القديم من العبرية إلى الآرامية. وقد تفرع من الخط الآرامي عدة خطوط هي: الخط الحضري، والخط السرياني، والخط النبطي.

كتب الحضريون نقوشهم الآرامية بخط مشتق من الخط الآرامي، بلغ عددها ما يقارب 400 نقش آرامي تمتد بتاريخها من أواخر القرن الأول الميلادي حتى منتصف القرن الثالث الميلادي. عثر أيضًا على نقوش مدونة بهذا النمط من الخط في دورايوروس في وسط الفرات، وأشور على دجلة، إضافة إلى اكتشاف بعض النقوش الفردية في طور عابدين وأرمينيا وجورجيا، وجميعها تعود إلى فترة النصف الثاني من القرن الثاني والنصف الأول من القرن الثالث الميلادي. غير أنه مما يدعو للأسف عدم وجود مادة

نقشية (إبيجرافية) كافية تدل على بداية نشوء هذا النمط من الخط (الخط الحضري)

2- الخط التدمري:

سمي الخط التدمري بهذا الاسم نسبة إلى تدمير عاصمة دولة العرب التدمريين في القرن الأول قبل الميلاد. كتب التدمريون لغتهم الآرامية - العربية بخط مأخوذ من الخط الآرامي، فالنصوص التدمرية تؤرخ من منتصف القرن الأول قبل الميلاد (أقدم نقش تدمري يعود إلى عام 44 ق. م) وحتى القرن الثالث الميلادي، أي إلى زمن دمار تدمر على يد الرومان عام 272م لم يقتصر انتشار النقوش التدمرية على مناطق سوريا وشمال العراق بل تعداها إلى مصر، الجزائر، إنجلترا، إيطاليا، المجر، ورومانيا. والنقوش التدمرية في الأساس نقوش نذرية وقبورية، نحت أغلبها على الحجر. وجدير بالذكر أنه عثر في تدمر أيضاً على نصوص مدونة باللغة اليونانية، ونصوص أخرى ثنائية اللغة مكتوبة باللغتين اليونانية والتدمرية، أحدها وهو أطولها يتضمن قائمة بالتعرف الجمركية على سلع مختلفة، وثلاثية اللغة مكتوبة باللغات: اليونانية واللاتينية والتدمرية مثل حجر تأسيس مدفن حيران بن بونا التدمري.

وينقسم الخط التدمري إلى نوعين رئيسيين هما:

الخط التدمري التذكاري الذي كتبت به النقوش النذرية والقبورية على الأحجار، والخط التدمري اللين والذي استخدم فرضاً للكتابة على أوراق البردي والرق أو البرشمان التي لم يُعثر على شيء منها بعد، بيد أن الخط اللين قد عُرف من خلال المخربشات والرسوم التي وجدت في دورايوروس ومن نقوش أخرى قليلة. ومن الواضح أن لغة النقوش التدمرية خالية من الكلمات العربية، بالرغم من أن معظم أسماء الأعلام التدمرية عربية خالصة، بينما كانت أغلب المصطلحات الفنية والإدارية ذات أصل

يوناني وقد عرفت النقوش التدمرية نظام الإعجام في الكتابة منذ منتصف القرن الثاني الميلادي حيث توضع نقطة فوق حرف الدال وأخرى تحت حرف الراء للتمييز بينهما.

3- الخط السرياني:

اللغة السريانية هي امتداد للغة الآرامية في العصر المسيحي، وهي لغة الرها - أورفة عند العرب، وأديسا Edessa عند الأوربيين - الأدبية قبل دخول النصرانية إليها في القرن الثاني الميلادي، كما أنها لغة السريان المسيحيين فيها.

ونظراً للشبه الكبير بين الخط السرياني والخط التدمري، فمن المرجح أن الشعوب السريانية في بلاد الشام والعراق قد استقوا خطهم من الخط التدمري وطوروه عنه وذلك نحو القرن الأول الميلادي.

تتمثل الكتابات السريانية القديمة قبل انتشار المسيحية في كتابات القبور المدونة على الأحجار والتي تؤرخ بالقرنين الأول والثاني الميلاديين، وكتابات ملوك الرها العرب المسجلة في دار المحفوظات الملكية بها، ومن بينها خبر فيضان نهر ديسان عام 201م في عهد أبجر التاسع؛ وخطاب مارا بن سرابيون إلى ابنه سرابيون والذي ربما يعود إلى الفترة ما بين القرن الأول والقرن الثاني الميلاديين؛ وقصة أحيقار وزير سنحاريب. إضافة إلى ذلك يوجد عدد لا حصر له من النقوش السريانية المتأخرة ذات الأصل المسيحي.

أدى النزاع حول طبيعة المسيح اللاهوتية والناسوتية، والذي هز كيان المسيحية في القرن الخامس الميلادي، إلى انقسام الكنيسة السريانية إلى معسكرين متعادين، فقد اتبع السريان الغربيون في الدولة الرومانية تعاليم يعقوب البردعي J. Baradaus القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح، وسموا أنفسهم لذلك باليعاقبة، بينما اعترف إخوانهم في دولة الفرس بتعاليم نسطوريوس Nestorius المضادة،

وَعُرِفُوا بالنساطرة. وتبعًا لذلك انقسم الخط السرياني الذي لا تزال بعض الطوائف المسيحية في بلاد الشام والعراق تكتب به حتى اليوم إلى:

الملكانيّة من نهاية القرن السادس عشر .
تشتمل السريانية على اثنين وعشرين حرفًا صامتًا، وعندما اتسع استخدام السريانية كان لا بد من وجود علامات لتمييز عدد من الكلمات المتفقة رسميًا والمختلفة لفظًا عن طريق وضع نقطة فوق أو تحت الحرف، وكذلك الحال نفسه في حروف (بجدكفت) حيث توضع نقطة فوقها عند النطق الشديد، وأخرى تحتها عند النطق الرخو. كما ميّزت السريانية الجمع عن المفرد بوضع نقطتين فوق حرف من حروف الجمع. وفي القرن السابع الميلادي أدخلت الصوائت اليونانية على الكتابة السريانية، ووضعت فوق الحروف أو تحتها على حد سواء، وعرفت باسم الحركات اليعقوبية.

الخط النبطي:

هو خط القبائل العربية التي دخلت أرض أدوم جنوب فلسطين في القرن الخامس قبل الميلاد، واستطاعوا تأسيس مملكة قوية اتخذت من مَلْع (البتراء) حاضرة لها، وامتد نفوذها في منتصف القرن الأول إلى الحجر (مدائن صالح). يتضح من خلال شواهد النقوش النبطية أن الخط النبطي مقتبس من الخط الآرامي، ويتألف من اثنين وعشرين حرفًا صامتًا، تكتب من اليمين إلى اليسار. وقد طوّر الأنباط بعض أشكال حروفه، وأضافوا إليه بعض التعديلات مثل وصل الحروف مع بعضها البعض باستثناء الحروف التي لا ترتبط بما يليها، والتفريق بين أشكال بعض الحروف في أول الكلمة وآخرها، وإلحاق نقاط على بعض الحروف يرجح أنها لضبط الكلمات أو إعجام بعض الحروف.

توجد النقوش النبطية في أماكن مختلفة من العالم وبخاصة في حدود مملكة الأنباط والمناطق التي يصلها تجارهم داخل شبه الجزيرة العربية، من دمشق والبتراء وصحراء النقب شمالًا، إلى العلا (دادان) ومدائن صالح

1- الخط الاسطرنجيلي Strangelo وهو الخط الأقدم الذي كان سائدًا في جميع الكتابات السريانية قبل انقسام الكنيسة، ويسمى هكذا من الكلمة اليونانية Strongulos وتعني الخط المستدير ويوجد أمثلة من هذا الخط في النقوش السريانية المبكرة من القرن الأول الميلادي من منطقة أوديسا، كما أنه معروف في مخطوطات كثيرة من القرن الخامس الميلادي وما يليه .

وبعد انقسام السريان إلى نساطرة ويعاقبة وملكانيّة أصبح لكل فريق منهم خط خاص به، وصارت المؤلفات تكتب بالخط الاسطرنجيلي القديم إضافة إلى الخطوط الثلاثة الأخرى وهي:

2- خط السرطا أو الخط السرياني الغربي، وهو خط نشأ في القرن السابع الميلادي، وسمي بالسرطا Serto أو السريع لأنه أسرع في الكتابة وأكثر استدارة من الخط الاسطرنجيلي، وعرف عند الهنود باسم الخط الماروني. ويسمى أيضًا بالخط اليعقوبي نسبة إلى يعقوب الرهاوي أحد مشاهير العلماء، وأحد أصحاب الطبيعة الواحدة.

3- الخط النسطوري أو الخط السرياني الشرقي، ويسمى بالنسطوري نسبة إلى نسطوريوس زعيم النساطرة الشرقيين، وعُرف عند الهنود باسم الخط الكلداني. ويتميز هذا الخط بدقة حركاته حيث ميّز بين الإمالة القصيرة والطويلة، وفرق بين الضميتين المفتوحة والمقفولة.

4- الخط الملكاني وهو خط اشتق من الخط القديم الاسطرنجيلي والخطين الجديدين اليعقوبي والنسطوري. ابتدعت هذا الخط جماعة تسمى

(الحجر) وقرية الفاو جنوبًا، ومن حوران في الشمال الشرقي إلى سيناء والصحراء الغربية لمصر غربًا، بل إن هناك نقوشًا نبطية وجدت في إيطاليا.

ويمكن تقسيم النقوش النبطية حسب مضامينها إلى نقوش تذكارية قصيرة، ونقوش دفن، ونقوش معمارية، ونقوش وقفية، ونقوش تكريمية، ونقوش تمثل توقيعات البنانيين أو توقيعات تدل على الملكية.

تعود النقوش النبطية المبكرة إلى الفترة من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى بداية القرن الثاني الميلادي (106م)، فأقدم نص نبطي معروف عثر عليه في موقع خلص Elusa في صحراء النقب ويرجع تاريخه إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد. أما النقوش النبطية المتأخرة فتعود إلى الفترة من بداية القرن الثاني الميلادي وحتى منتصف القرن الرابع الميلادي، وتتمثل أساسًا في النقوش النبطية من شمال الجزيرة العربية (الجوف والعلا ومدائن صالح بالمملكة العربية السعودية)، ونقوش سيناء النبطية (المكتشفة في أودية سيناء وخاصة وادي المكثب).

وقد نونت الكتابات النبطية في شكلين من الخط، رسمي أو يابس استعمل في النقوش التذكارية كنقوش المقابر في البتراء ومدائن صالح، وخط لين أو مقور ظهر على عديد من النقوش الصخرية والكتابات على أوراق البردي العائدة إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين.

الكتابة العربية الجنوبية:

ويقصد بها كتابات سكان الجزيرة العربية شمالها وجنوبها، وهي تنقسم تبعًا لذلك إلى قسمين: أ- كتابات القسم الشمالي من شبه الجزيرة العربية ويشمل مناطق شمال غرب الجزيرة العربية إلى جنوب سوريا. وتضم هذه

الكتابات أربعة أنواع هي: الثمودية والصفوية والدادانية والحيانية.

1- الخط الثمودي:

اصطلاح الدارسون المعاصرون على تسمية الخط الذي كتب به سكان بادية شمال الجزيرة العربية لغتهم العربية باسم "الخط الثمودي"، وذلك نظرًا لورود كلمة ثمود في بضع مخربشات.

تركز استخدام خط البادية (الثمودي) في شمال الجزيرة العربية، ووجدت نقوشه مكتوبة على صخور الجبال على طول الطرق التجارية القديمة الممتدة من جنوب شبه الجزيرة العربية إلى شمالها، في اليمن، وعسير، ومدائن صالح، وحائل، وتبوك، وتيماء، وكذلك في بعض المناطق خارج شبه الجزيرة العربية، في الأردن، وشبه جزيرة سيناء، وفي صحراء مصر الشرقية.

تعود أقدم شواهد هذا الخط المعروفة حتى الآن إلى القرن السادس قبل الميلاد، بينما يرجع أحدثها إلى حوالي القرن الرابع الميلادي. ويحتوي هذا القلم على ثمانية وعشرين حرفًا ساكنًا، ويكتب من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين، أو من أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى، وقد يأخذ النقش شكلًا دائريًا حسب المساحة التي نقشت عليها حروفه.

يرى بعض علماء الخطوط من خلال أشكال حروف خط البادية (الثمودي) أنه منقول عن خط المسند، وذلك لقرب الشبه بين كثير من أشكال حروفه ومثيلاتها في خط المسند. في حين يرى آخرون أن فكرة الحروف الأساسية مستمدة من الأبجديات الهجائية التي انتشرت في بلاد الشام ومصر (كالأبجدية الأوجاريتية والسينائية وغيرهما) في نهاية النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد. حيث تمكن سكان بادية شمال الجزيرة العربية على ضوئها من ابتكار حروف مجردة تتناسب مع أصوات لغتهم العربية وتقي بأغراضها. وهذه النقوش قصيرة جدًا وتحتوي غالبًا

إلى أسماء أعلام، إضافة إلى نقوش التملك للأشياء والنقوش الدينية والتذكارية، ونقوش الحرب، ونقوش المودة والمحبة، ونقوش الحزن، ونقوش المناسبات.

2- الخط الصفوي:

كتبت القبائل العربية في شمال شبه الجزيرة العربية ثأنقها بخط شديد الشبه بخط البادية، ويكاد يكون فرعاً منه، سمي اصطلاحاً باسم "الخط الصفوي"، لأن بواكير نقوشه اكتشفت خلال القرن التاسع عشر الميلادي في حرة الصفا، الواقعة إلى الجنوب الشرقي من دمشق فنسب إليها.

يربو عدد نقوش الخط الصفوي - المعروفة حتى الآن - على عشرين ألف نقش، وتعود هذه النقوش إلى الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادي.

انتشر استخدام خط قبائل عرب الصفا إلى الجنوب الشرقي من دمشق، وفي أواسط سوريا، وكذلك في الأردن، وتمتد شرقاً حتى دورايوروس (الصالحية) في وسط الفرات، وجنوباً حتى وادي السرحان في شمال المملكة العربية السعودية. ويبلغ عدد حروف خط عرب الصفا ثمانية وعشرين حرفاً، ولا تخضع كتابة نصوصه لقاعدة محددة، فتارة تكتب من اليمين إلى اليسار أو العكس، وتارة من الأعلى إلى الأسفل، وفي أحيان أخرى تكتب النصوص بطريقة حلزونية أو لولبية. كما أن الحروف الصائتة غير ممثلة في الكتابة، وأداة التعريف فيها هي الهاء في أول الكلمة، ولا يوجد فاصل بين الكلمات.

وتُصنف نقوش عرب الصفا إلى نقوش تذكارية تُعنى بتسجيل الذكريات والنسب والعواطف، ونقوش التملك أو الملكية للأشياء، ونقوش قبورية كتبت على القبور للتعبير عن الحزن الشديد، ونقوش دينية تذكر توسلات كاتبها لمعبوداتهم وذلك للتبرك أو إنزال العقاب بالأعداء أو الشفاء من الأمراض، ونقوش تاريخية وهي تؤرخ بحوادث عامة كالحرب بين الأمم أو بين القبائل أو المعارك بين الأشخاص.

3- الخط الداداني:

أطلق على هذا الخط مسمى الخط الداداني نسبة إلى مملكة دادان (أو ديدان)، وهي مملكة عربية سيطرت على منطقة دادان (العلا حالياً) في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد.

لا يوجد لدينا أمثلة كثيرة على الخط الداداني، فقد عثر في واحة ديدان (العلا) على نقوش قليلة تعود بتاريخها إلى حوالي القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، ولعل أهمها نقش JS 138 Lih الذي يسجل وفاة أحد ملوك ديدان، والمعروف بنقش كبر إل بن متع إل ملك ديدان، ونقش آخر JS 349 Lih يذكر حكاماً دينياً.

يتألف الخط الداداني، الذي تعود أقدم شواهد المعروفة حتى الآن إلى القرن السادس قبل الميلاد، من ثمانية وعشرين حرفاً ساكناً، حيث لا تظهر فيه حروف المد. وتكتب نصوصه الرسمية من اليمين إلى اليسار، ويفصل بين كلماتها بخط عمودي. أما نصوصه القصيرة، فإنها تكتب أحياناً من اليمين إلى اليسار أو العكس، وأحياناً أخرى من أعلى إلى أسفل أو العكس.

الخط الداداني يشبه في بعض حروفه (أربعة عشر حرفاً) خط المسند، وفي بعضها الآخر يشبه خط البادية (الثمودي)، مما يجعلنا نرجح أن يكون الدادانيون قد استنبطوا خطهم قياساً على خطوط جيرانهم من السبئيين والمعينيين وغيرهم من البادية (ثمود).

4- الخط اللحياني:

ينسب الخط اللحياني إلى مملكة لحيان التي اتخذت من دادان (حالياً العلا شمال غرب المملكة العربية السعودية) مركزاً لها في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد.

ويعد الخط اللحياني امتداداً للخط الداداني، حيث يتضح من خلال أشكال رسم حروف الخط اللحياني، خاصة في مراحلها المبكرة، أنه مأخوذ بدون تغيير عن خط أسلافهم الدادانيين، مما أدى إلى حدوث خلط عند تصنيف نقوش هذين الخطين، نتيجة الصعوبات التي يواجهها الباحثون في

التفريق بين النصوص المدونة بالخط الداداني والنصوص اللحيانية المبكرة.

وبعد ذلك في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد حدث تطور بسيط في بعض أشكال حروف الخط اللحياني مما جعل بعض العلماء المختصين يقسمون هذا الخط إلى مرحلتين هما: الخط اللحياني المبكر، والخط اللحياني المتأخر.

ترجع النقوش اللحيانية المعروفة حتى الآن إلى الفترة الممتدة من القرن الخامس وربما قبل ذلك إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، وتنتشر هذه النقوش في منطقة العلا التي عثر فيها على مجموعات كبيرة من نصوصه، في الخريبة، وأبو عود، ومدائن صالح (الحجر)، وجبل عكمة، ووادي أو ساق، وتلعة الحمادي.

ويحتوي قلم الخط اللحياني على ثمانية وعشرين حرفاً صامتاً، تكتب غالباً من اليمين إلى اليسار، وتُفصل مفردات نصوصه عن بعضها البعض بخط عمودي الشكل، وفي بعض النصوص بخطين رأسيين متقابلين، وأحياناً بنقطتين متقابلتين أو نقطة واحدة، بل إن بعض النقوش تخلو تماماً من الفواصل بين الكلمات، كما يفصل بين السطور في بعض النصوص خطوط أفقية دقيقة في رسمها. وتتضح في رسم هذا الخط ظاهرة المد، حيث يرمز حرف الهاء إلى ألف المد في المواضع التي تتطلب ذلك، كما تظهر في بعض نقوش الفترة اللحيانية المتأخرة من موقع أم درج، حروف اللين في بعض الأسماء مثل ذ غ ي ب ت، ولفظة ف ر ض ي هـ.

كُتبت النقوش اللحيانية بطريقة الحفر البارز، وكذلك بالحروف الغائرة، وغالباً ما تتحدث تلك النقوش عن أمور شخصية، إلا أنها تمدنا بمعلومات مفيدة عن تاريخ لحيان والمجتمع اللحياني، وخاصة النواحي الدينية في ذلك المجتمع. وجميع الشواهد الكتابية من منطقة العلا مكتوبة إما على واجهات صخرية في سفوح الجبال وقممها، أو على

الواح حجرية، أو على مذابح ومجامر منحوتة من الحجر. وقد ظهرت في النقوش اللحيانية شواهد عدة عن نظام العد والترقيم لدى اللحيانيين، تبين أن لهم طريقتهم لكتابة الأعداد، فهي إما أن تكتب كتابة أو بالأرقام.

ب- **كتابات القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية** ويشمل الكتابات المدونة بقلم المسند والخطوط التي تفرعت منه وهي خط الزبور، والخط الإثيوبي.

1- القلم المسند:

نوع من الخط سماه علماء المسلمين المسند، ربما لإسناد أشكال حروفه إلى بعضها البعض، أو بسبب إسناد نصوصه المكتوبة على ألواح حجرية أو معدنية في المباني والمعابد. ومسند كلمة معروفة في اللغات السبئية بمعنى "نقش؛ لوح نذر عليه نقش؛ نص منقوش". ولذا فإن الاسم لا يدل على نوع الخط وكان الأولى أن يسمى الخط الجنوبي أو السبئي أو الحميري.

استخدم خط المسند في جنوب الجزيرة العربية وشرقها من الأحساء إلى عمان، وفي قرية "الفاو"، ونجران، والعلا (في شمال غرب المملكة العربية السعودية اليوم)، كما وجدت له أمثلة في مصر واليونان. وتعود أقدم النصوص المكتشفة حتى الآن لهذا النوع من الخط إلى حوالي القرن التاسع قبل الميلاد واستمر استخدامه حتى القرن السادس الميلادي.

لا نعرف حتى اليوم الكثير عن المراحل الأولى من تطور خط المسند، حيث أن الشواهد النقشية التي وصلت إلينا منه تمثل مرحلة متقدمة من تطوره. ولا يوجد لدى الباحثين أدلة كافية على أقدم شواهد نقشية مسندية عثر عليها في جنوب الجزيرة العربية أو بلاد اليمن؛ فلا النقوش السبئية المبكرة، والمؤرخة وفق نظام عهود الأشخاص من الأسر السبئية المعروفة، تعين على وضع تصور عام لمراحل تطور خط المسند، ولا دراسة تطور أشكال حروفه. تمكننا من معرفة مراحل التطور بشكل واضح وجلي. ويرى

وفي تل الخليفة بالقرب من إيلات في فلسطين عثر على جرة مكتوب عليها حرفان عرييان جنوبيان، وتعود الجرة إلى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد.

وكما نرى فقد اختلف العلماء في إثبات أقدم كتاب نقشت بخط المسند، غير أن الدلائل المتوافرة لدينا ترجح أن النقوش السبئية هي أقدم النقوش العربية الجنوبية المعروفة حتى الآن، وينبغي أن يرجع تاريخها إلى فترة مبكرة في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد؛ ومثال ذلك نقش النصر (RES 3945) للحاكم السبئي كرب إل وتار بن دمار علي، الذي يعتقد أنه هو نفسه كرب إل ملك سبا الذي بعث بهدية إلى الملك الآشوري سنحريب بحسب ما جاء في نقش بناء معبد (بيت أكيتو) في آشور، والذي بني بعد خراب بابل أي بعد 681 قبل الميلاد، وبعد حملة هذا الملك الآشوري على دومة الجندل للسيطرة على طرق التجارة البرية، ويقدر تاريخ إرسال هذه الهدية بعام 685 قبل الميلاد.

يتألف خط قلم المسند من تسعة وعشرين حرفاً إضافة إلى رمز آخر في شكل خط عمودي استخدم للفصل بين كلمات النصوص، وترتيب هذه الحروف يشبه إلى حد كبير الترتيب الأبجدي للحروف الأثيوبية. تكتب حروف المسند منفصلة عن بعضها البعض، وهي تمثل أشكالاً هندسية رائعة الجمال والتناسق في شكل دوائر منتظمة وزوايا قائمة ومنفرجة. ولكل حرف من حروف الأبجدية صوت قائم بذاته، كما أن أصوات حروف المد مطروحة من رسم الحرف.

وقد تفرع من القلم المسند الخطوط التالية:

1- خط الزبور:

نوع من الخط مشتق من خط المسند الرسمي، غير أنه يتميز عنه بسهولة تحرير حروفه وإمكان اتصالها ببعضها البعض. وقد أطلق الدارسون على هذا الخط مسمى الزبور استناداً إلى ورود الفعل زبر بمعنى كتب في أحد

بعض العلماء أن خط المسند تطور من خط يطلق عليه "العربي الأصل/ الأم أو القديم" Proto-Arabic، والذي تطور من الخط الكنعاني القديم Proto-Canaanite وذلك في حوالي 1300 ق. م. وهو بذلك يمثل مرحلة وسيطة بين الخط الكنعاني القديم وخط المسند. وقد عثر على نماذج لنقوش عربية جنوبية قديمة لعلها تمثل خط المسند بعد تطوره من ذلك الخط العربي القديم، حيث اكتشف البرت جام A. Jamme في عام 1962م حروفاً قديمة في منطقة العبر شمال شبوة، رأى أنها من أقدم الشواهد على خط المسند. وكان قبل ذلك قد اكتشف في جبل أوراد بوادي بيجان نقوشاً عربية جنوبية قديمة مكتوبة في سطور عمودية أو رأسية، قدر تاريخها ما بين القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد.

غير أن أقدم كتابة نقشت بخط المسند حسب رأي فون فيسمان H. Von Wissmann هي طغراء هجر بن حميد - الذي تولى حروفه كلمة واحدة هي (كهلم) - المنقوش على إناء فخاري عثر عليه أثناء التنقيبات الأثرية التي أجرتها بعثة المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان بين عامي 1950 - 1951م في موقع هجر بن حميد بوادي بيجان. وقد اعتمد فون فيسمان على الدراسة التي قامت بها البعثة للإناء المذكور، ووضع سُلماً خطياً يقيس عليه أشكال حروف خط المسند، ووصل إلى أن تاريخ تلك الكتابة على الإناء يمكن أن يعود إلى الفترة ما بين 950 - 800 قبل الميلاد.

هذا النوع من الكتابة لم يعثر عليه في جنوب شبه الجزيرة العربية فحسب، بل عثر عليه أيضاً في مناطق أخرى خارجها، حيث وجدت بضعة نقوش مكتوبة بخط المسند في أور ونيبور في بلاد ما بين النهرين. أرخت هذه النقوش بالقرن السابع قبل الميلاد استناداً إلى المعثورات الأثرية التي عثر عليها في الموقع نفسه. وأطلق و. ف. البرايت W. F. Albright عليها اسم "النقوش الكلدانية".

نصوص هذا الخط، إضافة إلى ما جاء في الموروث العربي من اقتران خط يدعى الزبور بحمير.

انتشر استخدام هذا النوع من الخط في جنوب الجزيرة العربية، حيث عثر في خرائب السودان في جوف اليمن على مجموعة من القطع الخشبية تحمل نقوشًا مزبورة بهذا الخط، كذلك وجدت كتابات محزوزة بخط الزبور على جدران غرف بعض المنازل في قرية "الفاو"، كما عثر في نجران على كسرة فخار عليها كتابة بهذا النوع من الخط أيضًا.

من دراسة النصوص المكتشفة حتى الآن لهذا النوع من الخط، وخاصة النصوص على القطع الخشبية التي عثر عليها في جوف اليمن تبين أنها قد وُجّهت على شكل رسائل تبدأ باسم المرسل إليه ثم المرسل، ثم عبارات التحية والدعاء، ويتلو ذلك الغرض الذي من أجله كتبت الرسالة، ثم تختم الرسالة بالدعاء مرة أخرى، وفي بعض الأحيان تختم باسم صاحب الرسالة والشهود والتوقيع. كثير من هذه الرسائل عبارة عن صكوك مالية ومعاملات شرعية كالبيع وغيره، ومنها ما هو على شكل قوائم بأسماء الأشخاص والبطون، كتبت دون ذكر الغرض منها.

2- الخط الأثيوبي (الجعزي):

في حوالي النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد هاجرت مجموعة من قبائل جنوب الجزيرة العربية إلى الحبشة، ونشروا هناك ثقافتهم العربية لغة وكتابة وفنا في أوساط السكان المحليين، الذين ما لبثوا بعد قرون من تطوير لغة خاصة بهم هي (لسان جعز كما يسمونها أو الجعزية)، ومنها تفرعت لهجاتها (الأمهرية والتجيرية أو التجريدية وغيرها) واتخذوا حروف خط المسند خطا لهم ثم تطور إلى الخط الأثيوبي حتى وقتنا الحاضر، وبذلك شكل خط المسند الأساس للخط الأثيوبي. وقد كتبت النقوش الأثيوبية (الجعزية) الأولى بخط جنوب الجزيرة العربية (المسند) التذكاري، حيث أخذ الأحباش خط المسند كما هو ثم طوره وأدخلوا عليه بعض التعديلات. ونلاحظ في منتصف القرن

الرابع الميلادي - في أوج ازدهار مملكة أكسوم - امتزاجًا في الكتابة الجعزية بين الأشكال العربية الجنوبية والأشكال الحبشية المتطورة عنها، مما يعني أن المحاولات الهادفة إلى خلق كتابة حبشية خاصة، بتطوير الأشكال العربية الجنوبية، تعود إلى ما قبل ذلك التاريخ بفترة طويلة.

وعند مقارنة اللغة الأثيوبية باللغة العربية الجنوبية القديمة نجد أنها لا تحتوي على أصوات لحرف الظاء، والغين، والذال، والسين الثانية، لذلك لجأ الأحباش إلى استحداث حروف أخرى عوضًا عنها تناسب مخارج أصوات لغتهم الأثيوبية، وأضافوا إليها حرفين اثنين يمثلان صوتين غير معروفين في العربية الجنوبية، أحدهما يشبه في نطقه حرف (P) في اللغات اللاتينية، والآخر ينطق (تص)، وغالبًا ما يستخدم هذان الحرفان في الكلمات الدخيلة على اللغة، وبذلك أصبح عدد حروف اللغة الأثيوبية ستة وعشرين حرفًا صامتا. عقب ذلك تمكن الأثيبيون من إضافة علامات أو رموز تلحق بالحروف الساكنة (الصامتة) في حالات سبع لتدل على الصوائت أو بمعنى آخر لتؤدي عمل الحركات (التشكيل)، مما أدى إلى زيادة في عدد أشكال حروف الخط الأثيوبي إلى مائة واثنين وثمانين حرفًا ساكنًا ومتحركًا ثم حدث تطور آخر في الكتابة الحبشية بوضع رموز خاصة لأربعة من الأحرف الحلقية وهي (q) ق، (h) خ، (k) ك، (g) ج، لتمثيل خصائصها الصوتية في حالات خمس، حيث تختص هذه الأحرف الأربعة عندما يلحقها صائت أساسي كالفتحة a أو الكسرة i أو e، بدخول الصائت u بينها وبين الصائت الأساسي الذي يتبعها، فيصبح الصوت مركبًا كما في (q) ق على نحو qua, que, qui. كذلك استحدثت الكتابة الأمهرية المستخدمة في أثيوبيا اليوم سبعة حروف صامتة إضافية لم تكن موجودة في اللغة الجعزية، مع صوائتها السبعة. فأصبح لدينا عدد ضخم من الرموز يقدر بمائتين وواحد وخمسين علامة مقطعية.

كُتبت الكتابة الأثيوبية في مراحلها المبكرة من اليمين إلى اليسار كما في الكتابة العربية الجنوبية القديمة المشتقة منها، ولكنها سرعان ما تحولت إلى أسلوب الكتابة من اليسار إلى اليمين كما في الكتابة المسمارية والأوجاريتية واليونانية واللاتينية. وحروف الخط الأثيوبي تكتب منفصلة من بعضها بعضاً، ويُفصل بين مفرداته بنقطتين رأسيين (:)، كما يُعبر عن انتهاء الجملة بوضع العلامة الدالة على ذلك وهي أربع نقاط مترادفة (::):

الكتابة العربية الشمالية :

ويقصد بها الكتابات التي دونت بالخط العربي الذي هو أحدث الخطوط السامية عامة ومنفرع من الخط النبطي الآرامي.

الخط العربي:

اختلفت الآراء حول أصل الخط العربي ونشأته، فقد ظهرت اتجاهات مختلفة بشأن هذا الموضوع، منها الاتجاه الذي لم يعتمد أنصاره فيما كتبه عن نشأة الخط، على شواهد مادية أثرية ملموسة، وإنما اعتمدوا على الآراء المنقولة، وعلى روايات متباينة، خالطها شيء من الأسطورة والخيال في معظمها. وهي التي اعتمد عليها كثير من الأخباريين العرب. والاتجاه الآخر يعتمد أصحابه على مواد كتابية ومقارنة الحروف. وقد أصاب بعضهم كبد الحقيقة، في حين جانب الصواب أكثرهم. وينبغي لتتبع أصل الخط العربي التعرف إلى النظريات المختلفة التي برزت حول أصل الخط ونشأته ومن أهمها:

اعتمد عليها كثير من الكتاب العرب الأقدمين. فالمصادر العربية تكاد تجمع على أن الخط العربي والكتابة العربية توقيفية من الله سبحانه وتعالى لأدم استناداً إلى قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: من الآية 31). هذا الرأي لا يقوم على أساس من العلم، أو سند من التاريخ صحيح، كما أن معنى الآية يراد به أسماء المسميات كلها وليس بالضرورة أن يقصد به اللغة والخط

والكتابة وغيره مما يدخل تحت الأسماء المعنوية، وإلا لأشار القرآن الكريم إلى ذلك:

النظرية الجنوبية الحميرية: شاع عند العرب أن أصل الخط العربي مشتق من خط المسند الحميري الجنوبي، فهم يعتمدون على فرض أن اليمن قد بسطت سلطاتها السياسية على أجزاء من بلاد العرب بما فيها الحجاز، ومن ثم لا بد أن تكون قد فرضت ثقافتها وخطها في هذا الإقليم. وأصحاب هذا الرأي ومؤيدوه قديماً كابن النديم وابن خلدون، وحديثاً مثل حفني ناصف وناجي زين الدين لا يستندون إلى دليل مادي، فالتأمل في الخطين العربي والمسند لا يجد علاقة أو تشابهاً بينهما.

النظرية الحيرية الشمالية: مفادها : أن الخط العربي مشتق من خط الحيرة الذي أخذ من السريانية وقيس على هجائها. وقد ذكر هذه النظرية عدد من المؤرخين العرب وعلى رأسهم البلاذري، وهي بالرغم مما يشوبها من الأسطورة، وما يغلب عليها من الوضع والصنعة، تُحاول أن تفسر كيف انتهت الكتابة إلى الحجاز من إقليم الحيرة. ويبدو أن أصحاب هذه النظرية وجدوا في التشابه بين القلمين العربي والسرياني في أشكال بعض الحروف، وترتيبها، وفي ظاهرة ربط الحروف ببعضها، مستنداً يعتمدون عليه لإثبات صحتها، مع أن ذلك التشابه مرده أن كلا القلمين من أصل واحد هو الخط الآرامي.

النظرية الحديثة أو النبطية : وهي التي تؤيدها معظم الآراء، حيث تقول : إن الخط العربي قد اشتق من الخط النبطي وذلك اعتماداً على التشابه ما بين النقوش النبطية والخط العربي المتمثل في كثير من الخصائص الخطية واللغوية الموجودة فيهما. فقد كتب الأنباط لغتهم العربية بالخط النبطي المشتق من الخط الآرامي كما يتضح في نصوص القرن الأول قبل الميلاد. ثم أخذ هذا الخط في التطور والتحسين، وظهر فيه ميل إلى الاستدارة، وابتعد تدريجياً عن الخط الآرامي، وأصبح يشبه إلى حد كبير خط

النقوش العربية المبكرة التي تم الكشف عنها في بلاد الشام، والتي تمثل التطور الذي طرأ على الحروف النبطية حتى أخذت تفقد صبغتها النبطية نحو الكتابة العربية، مثل نقش أم الجمال الأول (250-270م)، ونقش النمارة (328م)، ونقوش جبل رم (300-350م)، ونقش زبد (512م)، ونقش حران (568م)، ونقش أم الجمال الثاني (القرن 6م)، إضافة إلى النقوش النبطية والإسلامية المبكرة المكتشفة في منطقة الحجاز، وشمال الجزيرة العربية، والتي ترجع إلى فترات زمنية تسبق أقدم النقوش المذكورة آنفاً.

الخط العربي في فجر الإسلام:

كان العرب في العصر الجاهلي وفجر الإسلام القريب من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم يعنون بتدوين شؤون حياتهم، من عقود وعهود، ومواثيق ومداينات، وشعر وأدب، وسندات ملكية الرقيق (مكاتبة الرقيق)، وتثبيت الصكوك، وكتابة الرسائل فيما بينهم. أما ما ذكره ابن خلدون في مقدمته عن خط العرب وعدم إجادتهم للكتابة، وما أشاعه المستشرقون وبعض العرب المحدثين من أن العرب لم يعرفوا الكتابة والقراءة فهو كلام مردود على أصحابه، تنقصه الحقائق التاريخية التي تثبت أهمية الحجاز في فترة ما قبل البعثة المحمدية كمركز ديني وتجاري وثقافي مهم في الجزيرة العربية، وبالتالي كان لزاماً أن يكون أهل الحجاز قد عرفوا الكتابة لتدوين شعرهم ومحاسباتهم وجميع أمور حياتهم. وقد ذكر ابن النديم أنه كان في خزانة الخليفة العباسي المأمون (بين عامي 198 - 218هـ) كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم مكتوب فيه دين لعبد المطلب بن هاشم على رجل من أهل اليمن. ومن المؤكد أن الكتابة لم تكن منتشرة في الحجاز بالمفهوم الذي نحن عليه الآن، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال عدم معرفتهم بها، وهم الذين استخدموها في تسجيل أمور التجارة، وتوثيق العهود والأحلاف والديون. فالكتابة كانت منتشرة في مكة

قبل الإسلام، حيث يذكر البلاذري أنه كان فيها سبعة عشر رجلاً يكتبون، وعدد سبع نساء كن يكتبن أو يعرفن القراءة. كما أشارت كتب التاريخ الإسلامي إلى أن الفداء الوحيد الذي قبله الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض أسرى قريش بعد معركة بدر هو أن يقوم كل أسير منهم بتعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة، وفي ذلك دليل واضح على معرفة القرشيين من أهل مكة وعرب الحجاز بالقراءة والكتابة.

الخط العربي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

لما جاء الإسلام أضحت الكتابة واجباً دينياً، ووسيلة سخرت لخدمة الدين الإسلامي، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام أول من أدرك أهمية الكتابة، وحرص على نشرها والحث عليها، فلم يفك أسرى المشركين في بدر إلا إذا علم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة كما شجع النساء أيضاً على تعلم القراءة والكتابة، فقد أمر عليه الصلاة والسلام الشفاء بنت عبد الله أن تعلم زوجها حفصة الكتابة ليفتدي بها المسلمون في تعليم النساء. كذلك أولى الرسول صلوات الله وسلامه عليه أهمية كبرى لتدوين القرآن الكريم وحفظه من الضياع، بأن اتخذ عليه الصلاة والسلام كتاباً للوحي يلزمونه على الدوام، ويكتبون القرآن حال نزوله أولاً بأول. وقد كان له صلى الله عليه وسلم ثلاثة وأربعون كاتباً، من أشهرهم الخلفاء الأربعة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، والعلاء الحضرمي، وشرحبيل بن حسنة، وسعيد بن العاص

وغيرهم. وكان على بن أبي طالب رضي الله عنه كاتب العهود للرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأبي بن كعب أول من كتب للرسول عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة، وأول من كتب في آخر الكتاب وكتب فلان؛ وكان زيد بن ثابت رضي الله عنه يكتب رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم

إلى ملوك الدول وروسانها، وكان ألزم الصحابة لكتابة الوحي

اكتمل نزول القرآن الكريم وكتب كله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ إلا أنه كان أول عهده مفرقا في الرقاع والأكتاف والعصب والخاف، وكان موزعا في أماكن متعددة ومتفرقة، ولم يجمع له نص كامل مكتوب في مكان واحد إلا في عهد أبي بكر رضي الله عنه، حين استشهد كثير من القراء يوم اليمامة، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي بكر بجمع القرآن خشية أن يذهب باستشهاد حملته وحافظيه. فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بتتبعه وجمعه، فجمعه في صحف كانت عند أبي بكر، ولما توفي ألت تلك الصحف إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعد موته انتقلت إلى أم المؤمنين حفصة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن المرجح أن القرآن الكريم كان يكتب في عهد أبي بكر في صحائف من الرق تتساوى في الطول والعرض وتتفق في النوع.

ولا تسعفنا المصادر التاريخية في التعرف إلى الخط الذي كان سائدا في الحجاز واستعمله القرشيون قبل الإسلام، وكتب به القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم في عهد الخلفاء الراشدين. ولعل خير من أمدا بأسماء الخطوط العربية في بداية الإسلام هو ابن النديم (المتوفى عام 358هـ) في فهرسيه، حيث صنف الخطوط وقسمها حسب المناطق إلى الخط المكي وبعده المدني ثم البصري ثم الكوفي؛ ثم حاول وصف الخط الذي كتب به المصحف في أول الأمر بأنه الخط المدني أو المكي دون أن يبين لنا خصائص أو مميزات أي منهما. أما البسمة التي وردت في كتابه، فالأرجح أنها لا تعود إلى بداية الإسلام بل إلى فترة ابن النديم نفسه. واستنادا إلى كلام ابن النديم عن خطوط المصاحف، يرجح أن الخط المدني قد استخدم لكتابة

القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الخط المكي والمدني كان منها اللين (المقور أو المدور) واليابس (الجاف أو المثلث)، وفي الرقوق القرآنية المكتشفة في سقف الجامع الكبير بصنعاء والتي يرجح أن بعضها من القرن الأول الهجري ما يؤكد الخط المدني والمكي ويسمى بالخط الجليل أو الخط المائل .

ويرجح أن الخط الذي كتب به القرآن الكريم في عهد أبي بكر رضي الله عنه هو الخط اليابس (الجاف) الذي عرفته المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. أما الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد اهتم بجمع القرآن وتدوينه في مصحف واحد بالخط الجاف على أنواع معينة من الرقوق، ووزعت نسخ منه على الأمصار الإسلامية لجمع الأمة على مصحف واحد.

بعد ذلك انتشر الخط العربي في جميع أنحاء العالم الإسلامي، إذ كتبت به لغات أخرى غير عربية، كالفارسية والتركية والأوردية والمالوية وغيرها. وقد صاحب الخط العربي الفتح الإسلامي في انتشاره، حاملا لواء الثقافة الإسلامية ممثلة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ولواء اللغة العربية. وقد ساعد الخط العربي على الانتشار عوامل مختلفة ارتبطت بالتطور الحضاري للأمة الإسلامية منها تدوين القرآن الكريم وتحرير التفاسير وعلوم الفقه والحديث، وتسجيل السجلات والعهود والصكوك والعقود والحجج والأوقاف، تعريب الدواوين والمسكوكات في فترة الدولة الأموية، وقيام العباسيين بتشجيع حركة الترجمة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية.

د. سالم بن أحمد طيران

المصادر والمراجع

أولا : المراجع العربية :

- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، أبو الحسن، حسين بن علي 2002م
العلا ومدائن صالح - حضارة مدينتين (سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور (1)، دار القوافل، الرياض).
- بروكلمان، كارل 1977م.
فقه اللغات السامية (ترجمة د. رمضان عبدالنواب، مطبوعات جامعة الرياض، الرياض).
- بعلبكي، رمزي 1981م.
الكتابة العربية والسامية، دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين (الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت).
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر د. ت.
فتوح البلدان (تحقيق صلاح الدين المنجد، الجزء الثالث، طبعة دار النهضة المصرية، القاهرة).
- بيستون، أ. ف. ل، ركانز، جاك، الغول، محمود، مولر، والتر 1982م.
المعجم السبئي (لوفان لانف: دار نشریات بپترز، بیروت، مكتبة لبنان).
- الجبوري، سهيلة 1979م.
أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي (بغداد).
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي د. ت.
النشر في القراءات العشر (المكتبة التجارية الكبرى، مصر).
- حاتم، عماد 1982م.
في فقه اللغة وتاريخ الكتابة (الطبعة الأولى، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس - ليبيا).

- أبو الحسن، حسين بن علي 1997
قراءة لكتابات لحياينة من جبل عكمة بمنطقة العلا (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض).
- أبو الحسن، حسين بن علي 2002م.
نقوش لحياينة من منطقة العلا دراسة تحليلية مقارنة (الطبعة الأولى، وكالة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، الرياض).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد د. ت.
المقدمة (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
- الذيب، سليمان 1995م.
دراسة تحليلية لنقوش نبطية قديمة (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض).
- الذيب، سليمان 1999م.
نقوش ثمودية من المملكة العربية السعودية (مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض).
- راشد، سيد فرج 1993م.
اللغة العبرية، قواعد ونصوص (دار المريح للنشر، الرياض).
- راشد، سيد فرج 1994م.
الكتابة من أقلام الساميين إلى الخط العربي (الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة).
- رشدي، زاكيه محمد 1978م.
السريرية نحوها وعرفها مع مختارات من نصوص اللغة (الطبعة الثانية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة).
- الروسان، محمود محمد 1987م.
القبائل الثمودية والصفوية دراسة مقارنة (الطبعة الأولى، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض).

- ريكمانز، جاك، مولر، والتر، عبد الله، يوسف محمد
1994م .
نقوش خشبية قديمة من اليمن (منشورات المعهد الشرقي
في لوفان، 43، لوفان الجديدة) .
- الزنجاني، أبو عبد الله 1969م .
تاريخ القرآن (الطبعة الثالثة، بيروت) .
- سفر، فؤاد، مصطفى، محمد علي 1974م .
الحضر مدينة الشمس (بغداد) .
- عبد الله، عبد القادر محمود 1995م .
الكتابة الأبجدية في مصر القديمة، أول اهداء لمبدأ الأبجدية
(الطبعة الأولى، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود،
الرياض) .
- عبد الله، يوسف محمد 1988م .
خط المسند والنقوش اليمنية القديمة، دراسة لكتابة
يمينية قديمة منقوشة على الخشب (النقاش والكتابات في
الوطن العربي، المنظمة العربية للتنمية والثقافة
والعلوم، تونس) .
- الفهر، محمد فهد عبد الله 1984م .
تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام
حتى منتصف القرن السابع الهجري (الطبعة الأولى،
تهامة للنشر، جدة) .
- كامل، مراد، البكري، محمد حمدي 1949م .
تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى الفتح الإسلامي (مطبعة
المقطف والمقطم بمصر، القاهرة) .
- الكردي، محمد ظاهر بن عبد القادر 1939م .
تاريخ الخط العربي وآدابه (الطبعة الأولى، القاهرة) .
- كلينكل، هورست 1985م .
أثر سوريا القديمة، ترجمة قاسم طوير، منشورات وزارة
الثقافة، سوريا، م .
- كمال، ربحي 1978م .
دروس اللغة العبرية (دار النهضة العربية للطباعة
والنشر، بيروت)
- مرزوق، محمد عبد العزيز 1975م .
المصحف الشريف دراسة تاريخية وفنية (الهيئة
المصرية العامة للكتاب، القاهرة) .
- موسكاتي، سبتينو 1986م .
الحضارات السامية القديمة (ترجمة د. السيد يعقوب
بكر، دار الرقي، بيروت) .
- ابن النديم، محمد بن إسحاق د. ت .
الفهرست (المطبعة التجارية الكبرى، مصر) .
- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد 1986م .
كتاب الإكليل (الجزء الأول، تحقيق محمد بن علي
الأكوع الحوالي، الطبعة الثالثة، منشورات المدينة
بيروت) .
ثانيًا : المراجع الأجنبية:
- Albright, W. F. 1952
The Chaldean Inscriptions in Proto-Arabic
Script, BASOR 128, P. 39-45.
- Albright, W. F. 1955
The Early South Arabic Inscription in Vertical
Columns, BASOR 138.
- Caskel, W. 1954
Lihyan ynd Lihyanisch (Arbeitsgemeinschaft
fur Forschung des Landes Nordrhein-
Westfalen. Geisteswissenschaften. Heft 4)
Koln.
- Dillmann, A., 1907
Ethiopic Grammar, Second edition, enlarged
and improved by Carl Bezold, Williams and
Norgate, London.
- Eph'al, I., 1982
The Ancient Arabs, Nomads on the Borders of the
Fertile Crescent 9th – 5th Centuries B. C. Leiden.
- Gelb, I. J., 1963

Aramaic and Nabatean Inscriptions from North-West Saudi Arabia, King Fahd National Library, Riyadh.

- Von Wissmann, H. 1975

Über die frühe Geschichte Arabiens und das Entstehen des Sabaerreiches, Die Geschichte von Saba' I, (SBAWW 301), Wien.

- Von Wissmann, H. 1982

Die Geschichte von Saba' II. Das Grossreich der Sabaer bis zu seinem Ende im frühen 4. Jh. V. Chr., hrsg. Von W. W. Müller (SBAWW 402), Wien.

- Winnett, F. V. 1937

A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions, Toronto.

- Winnett, F. V. 1957

Safaitic Inscriptions from Jordan (Near and Middle East Series. 2) Toronto.

- Winnet, F. V. Reed, W., 1970

Ancient Records from North Arabic (Near and Middle East Series. 6), Toronto.

- Zayadin, F. 1989

Die Zeit der konigreiche Edom, Moab und Ammon. 12. – 6. Jahrhundert v. Chr., in: Der Königs Weg, 9000 Jahre Kunst und Kultur in Jordanien, Verlag Philipp von Zabern, Mainz.

A Study of Writing, The University of Chicago Press, Chicago, 5- 6-Glueck, N., The First Campaign at Tell al-Kheleifeh (Ezion-Geber), BASOR 71 (1938), P. 15-16.

- Grimme, H. 1926

Die Lösung des Sinaischriftproblems, Die altthamudische Schrift, Münster.

- Healey, J. F. 1990

The Early Alphabet, British Museum Publications Ltd., London.

- Jamme, A. 1955

An Archaic South Arabian Inscription in Vertical Columns, BASOR 137, PP. 32-38.

- Jamme, A. 1963

Preliminary Report on Epigraphic Research in North-Western Wadi Hadramaut and at al-'Abar, BASOR 172.

- Müller, W. W. 1982

Das Frühnordarabische in: Grundriss der arabischen Philologie, Bd. I. Hrsg. Von W. Fischer, Wiesbaden.

- Pirenne, J. 1956

Paleographie des inscriptions sud-arabes contribution a la chronologie et a L'histoire de L'Arabie du Sud antique, Tom I, Bruxelles.

- al-Theeb, S. 1993



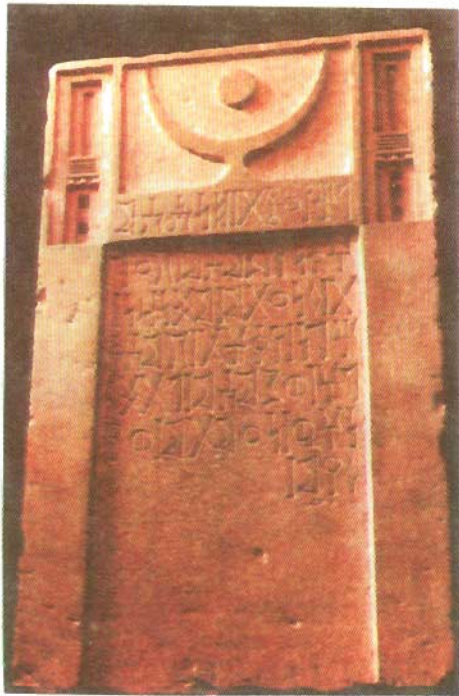
(الشكل رقم 1) نقش بخط المسند على نصب محفوظ في متحف المكلا باليمن (نقلا عن النسخ في بلاد ملكة سبا).



(الشكل رقم 2) مائدة قرابين عليها كتابة بالخط المسند، القرن السابع قبل الميلاد (نقلا عن اليمن في بلاد ملكة اليمن)



(الشكل رقم 3) كتابة بخط المسند على نصب مقدم للمعبود المقه (نقلا عن اليمن في بلاد ملكة سبا).



(الشكل رقم 4) نقش بخط المسند محفوظ في متحف صنعاء الوطني (نقلا عن اليمن في بلاد ملكة سبا).



(الشكل رقم 5) نقش بخط المسند على مائدة قرابين (نقلا عن اليمن في بلاد
منكة سبا)

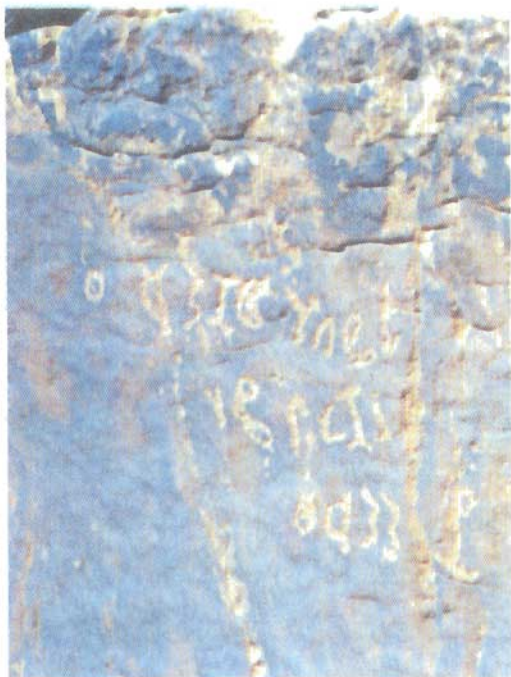


(الشكل رقم 6) نقش بخط المسند على نصب يخلد بناء معبد مأرب، القرن الثامن قبل
الميلاد (نقلا عن اليمن في بلاد ملكة سبا).



(الشكل رقم 7) نقوش بالخط الحيثاني من جبل عكمة بالعلا (المملكة العربية السعودية)





(الشكل رقم 9) نقوش بخط البادية (الثمودي) من جبة (حائل، المملكة العربية السعودية)

